



لقد تعاظم دور هذه الشذمة المجرمة هذه الأيام، ولا سيما مع النكسات التي تشهدها ثورات دول الربيع العربي، وأصبحت تؤدي دورها، بغطاء من قوات الأمن والجيش، جهارا نهارا، هذا من ناحية وأخرى انحراف القوات المسلحة في الجيوش العربية عن دورها الرئيس في الذود عن الحدود الجغرافية للأوطان، والتصدي للعدو الخارجي الحقيقي للمسلمين المتربص بالأوطان الدوائر.

وانسياق الجنود انسياقا عمياء وراء القادة الذين نقضوا العهد، ونكثوا أيمانهم، وتنكبوا المسار الصحيح، فأردت بحول الله تعالى تسليط الضوء على عظيم جرمها وكبير خطرها، وكل أعوان الظلمة والخائنين، وما ينتظرهم من سوء العقاب، ورهيب العذاب، ووخيم العاقبة، والإجابة على سؤال هل يُعفى الجنود من المسؤولية كونهم مأمورين، أم لا ؟؟ فأقول وبالله التوفيق: كَانَ شَرِيحُ الْقَاضِي يَقُولُ: سَيَعْلَمُ الظَّالِمُونَ حَقَّ مَنْ انْتَقَصُوا، إِنَّ الظَّالِمَ لَيَنْتَظِرُ الْعِقَابَ، وَالْمَظْلُومُ يَنْتَظِرُ النَّصْرَ وَالنَّوَابَ.

وَرُوِيَ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا سَلَطَ عَلَيْهِ مَنْ ظَلَمَهُ.

دَخَلَ طَاوُسُ الْيَمَانِيُّ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ: اتَّقِ يَوْمَ الْأَذَانِ؛ قَالَ هِشَامٌ. وَمَا يَوْمُ الْأَذَانِ؟ قَالَ: اقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: {فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ[1]} فَصَعِقَ هِشَامٌ، فَقَالَ طَاوُسٌ: هَذَا ذُلُّ الصِّفَةِ فَكَيْفَ الْمُعَايَنَةُ؟

وَقَدْ تَبَرَّأَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِمَّنْ أَعَانَ الظَّالِمَ. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سَلَّطَ عَلَيْهِ».

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: لَا تَمَلُّوا أَعْيُنَكُمْ مِنْ أَعْوَانِ الظَّالِمَةِ إِلَّا بِإِنْكَارٍ مِنْ قُلُوبِكُمْ لِئَلَّا تَحْبِطَ أَعْمَالُكُمْ الصَّالِحَةُ.

قال سفيان الثوري: إذا لم يكن للعالم حرفة ولا عقار كان شرطيا لهؤلاء الظلمة، وإذا لم يكن للجاهل حرفة كان رسولا للفساق[2].

قال خياط لابن المبارك: أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف علي أن أكون من أعوان الظلمة؟ قال: لا، إن أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والإبرة، أما أنت فمن الظلمة أنفسهم[3].

وَقَالَ مَكْحُولُ الدِّمَشْقِيُّ: يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الظَّالِمَةُ وَأَعْوَانُهَا؟ فَمَا يَبْقَى أَحَدٌ حَبَرَ لَهُمْ دَوَاةً أَوْ بَرَى لَهُمْ قَلَمًا فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا حَضَرَ مَعَهُمْ فَيُجْمَعُونَ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ فَيُلْقَوْنَ فِي جَهَنَّمَ. وَجَاءَ خَيَّاطٌ إِلَى سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فَقَالَ: إِنِّي أَخِيطُ ثِيَابَ السُّلْطَانِ أَفْتَرَانِي مِنْ أَعْوَانِ الظَّالِمَةِ؟ فَقَالَ لَهُ سُفْيَانٌ: بَلْ أَنْتَ مِنَ الظَّالِمَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَلَكِنْ أَعْوَانُ الظَّالِمَةِ مَنْ يَبِيعُ مِنْكَ الْإِبْرَةَ وَالْخُيُوطَ.

ذكر أعرابي السلطان - الجائر - فقال: أما والله لئن عَزَوَا في الدنيا بالجور، لقد ذَلُّوا في الآخرة بالعدل[4]

وقال كعب: يقولُ الله عزَّ وجلَّ للإمامِ الجائرِ: (خُذُوهُ فَعَلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ. فَيُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ، فَيَنْتَثِرُ لَحْمُهُ وَعِظَامُهُ وَمَخْهُ[5].

ويتكرر التحذير من الاعتداء على الإنسان بالضرب والإهانة، من ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - : "إن الله تعالى يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس في الدنيا"[6].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ، مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِبْحَهَا، وَإِنَّ رِبْحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا"[7].

ويقول أيضا: "أول من يدخل من هذه الأمة النار السواطون"[8].

والسواطون هم رجال الشرطة، والمخابرات الذين يجلدون الناس بالأسواط. بغير ذنب ولا جريرة، طاعة للحكام في معصية الله تعالى

وعن أبي هريرة أنه قال: قد رأينا من كل شيء قاله لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم. غير أنه قال: - "يقال لرجال يوم القيامة: اطرحوا سياطكم وادخلوا جهنم"[9].

وقال - صلى الله عليه وسلم: "إن أشد الناس عذابا يوم القيامة أشدهم عذابا للناس في الدنيا"[10].

وقال أيضا: "يوشك إن طالت بك مدة أن ترى أقواما في أيديهم مثل أذناب البقر، يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط الله"[11].

وقال أيضا: "يكون في آخر الزمان شُرَطٌ يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط الله، فإياك أن تكون منهم"[12].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: "يكون أمراء يعذبونكم ويعذبهم الله"[13].

قد كان عمر بن الخطاب إذا بعث عماله شرط عليهم أن يعيشوا معيشة الناس، وأن يركبوا ما يركبه عامة الناس، وأن يلبسوا ما يلبسه عامة الناس ثم يشيعهم. فإذا أراد أن يرجع قال: "إني لم أسلطكم على دماء المسلمين، ولا على أعراضهم ولا على أموالهم. ولكني بعثتكم لتقيموا الصلاة وتقسموا فيهم فيئهم، وتحكموا بالعدل.

فإذا أشكل عليكم شيء فارفعوه إلي. ألا فلا تضربوا العرب فتذلوها، ولا تجمروها فتفتنوها، ولا تعتلوا عليها فتحرموها، جردوا القرآن"[14]. ولقد خطب الخليفة عمر رضي الله عنه يوما في الناس فقال: "ألا إني والله ما أرسل عمالي إليكم، ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم. ولكن أرسلهم ليعلموكم دينكم وستكم، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إلي.

فوالذي نفسي بيده إذا لأقصنه منه! فوثب عمرو بن العاص - رضي الله عنه - فقال: "يا أمير المؤمنين أو رأيت إن كان رجل من المسلمين على رعية، فأدب بعض رعيته أثنك لمقصنه منه؟" فقال الخليفة: "أي والذي نفس عمر بيده إذا لأقصنه منه، وقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقص من نفسه، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلّوهم، ولا تجمروهم فتفتنّوهم، ولا تمنعوا حقوقهم فتكفروهم، ولا تنزلوا الغياض فتضيعوهم" [15] وَرُويَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ السَّوْاطُونَ الَّذِينَ يَكُونُ مَعَهُمُ الْأَسْوَاطُ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ بَيْنَ يَدَيِ الظَّالِمَةِ.» وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: الْجَلَاوِزَةُ، أَيُّ أَعْوَانِ الظَّالِمَةِ، وَالشَّرْطُ أَيُّ بَضْمِ الْمُعْجَمَةِ وَفَتْحِ الرَّاءِ: وَلاَةُ الشَّرْطَةِ وَهُمْ أَعْوَانُ الْوِلاَةِ وَالظَّالِمَةِ، الْوَاحِدُ مِنْهُمْ شَرْطِيٌّ: بِضْمٍ فَفَتْحٍ - كِلَابُ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَرُويَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى مُوسَى صَلَّى عَلَى نَبِينَا وَعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ: «أَنْ مُرَّ ظَلَمَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَقُولُوا مِنْ ذِكْرِي، فَإِنِّي أَذْكَرُ مِنْ ذِكْرِي وَإِنْ ذِكْرِي إِيَّاهُمْ أَنْ أَلْعَنَهُمْ». وَفِي رِوَايَةٍ: «فَإِنِّي أَذْكَرُ مِنْ ذِكْرِي مِنْهُمْ بِاللَّعْنَةِ» .

وَجَاءَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ فِي مَوْقِفٍ يُضْرَبُ فِيهِ رَجُلٌ ظُلُمًا فَإِنَّ اللَّعْنََةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ». وَجَاءَ كَمَا مَرَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «أَمْرٌ بَعِيدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ يُضْرَبُ فِي قَبْرِهِ مِائَةً جَلْدَةً، فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُهُ وَيَدْعُو حَتَّى صَارَتْ جِلْدَةً وَاحِدَةً فَأَمْتَلًا قَبْرُهُ عَلَيْهِ نَارًا، فَلَمَّا ارْتَفَعَ عَنْهُ وَأَفَاقَ قَالَ: عَلَامَ جَلْدَتُمُونِي؟ قِيلَ: إِنَّكَ صَلَّيْتَ بِغَيْرِ طَهْوَرٍ، وَمَرَرْتَ عَلَى مَظْلُومٍ فَلَمْ تَنْصُرْهُ» فَهَذَا حَالٌ مَنْ لَمْ يَنْصُرِ الْمَظْلُومَ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى نَصْرِهِ فَكَيْفَ حَالُ الظَّالِمِ؟ .

قَالَ بَعْضُهُمْ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ يَخْدُمُ الظَّالِمَةَ وَالْمَكَّاسِينَ بَعْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي حَالَةٍ قَبِيحَةٍ فَقُلْتُ لَهُ: مَا حَالُكَ؟ فَقَالَ شَرُّ حَالٍ، فَقُلْتُ لَهُ: إِلَى أَيْنَ صِرْتَ؟ فَقَالَ إِلَى عَذَابِ اللَّهِ، قُلْتُ: فَمَا حَالُ الظَّالِمَةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟ قَالَ شَرُّ حَالٍ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} [16].

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: رَأَيْتُ رَجُلًا مَقْطُوعَ الْيَدِ مِنَ الْكَتِفِ وَهُوَ يُنَادِي مَنْ رَأَى فَلَا يَظْلِمَنَّ أَحَدًا، فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ: يَا أَخِي مَا قِصَّتُكَ؟

فَقَالَ: يَا أَخِي قِصَّتِي عَجِيبَةٌ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ مِنْ أَعْوَانِ الظَّالِمَةِ، فَرَأَيْتُ يَوْمًا صَيَادًا قَدْ اصْطَادَ سَمَكَةً كَبِيرَةً فَأَعْجَبَتْنِي، فَجِئْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: أُعْطِنِي هَذِهِ السَّمَكَةَ، فَقَالَ لَا أُعْطِيكَهَا أَنَا آخِذٌ بِتَمَنِّيها قُوْتًا لِعِيَالِي، فَضَرَبْتَهُ وَأَخَذْتُهَا مِنْهُ فَهَرَا وَمَضَيْتُ بِهَا، قَالَ: فَبَيْنَمَا أَنَا مَاشٍ بِهَا حَامِلَهَا إِذْ عَضَّتْ عَلَى إِبْهَامِي عَضَّةً قَوِيَّةً فَلَمَّا جِئْتُ بِهَا إِلَى بَيْتِي وَالْقَيْتَهَا مِنْ يَدِي ضَرَبَتْ عَلَى إِبْهَامِي وَالْمَتْنِي أَلَمًا شَدِيدًا حَتَّى لَمْ أُنَمْ مِنْ شِدَّةِ الْوَجَعِ وَوَرِمَتْ يَدِي فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَتَيْتُ الطَّبِيبَ وَشَكَوْتُ إِلَيْهِ الْأَلَمَ فَقَالَ: هَذِهِ بُدُوُ أَكْلَةٍ أَقْطَعُهَا وَإِلَّا تَلَفْتَ يَدَكَ كُلَّهَا فَقَطَّعْتُ إِبْهَامِي ثُمَّ ضَرَبْتُ يَدِي فَلَمْ أَطِقْ النَّوْمَ وَلَا الْفَرَارَ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ، فَقِيلَ لِي أَقْطَعْ كَفَّكَ فَقَطَّعْتُهَا وَانْتَشَرَ الْأَلَمُ إِلَى السَّاعِدِ وَالْمِئْيَةِ أَلَمًا شَدِيدًا وَلَمْ أَطِقْ النَّوْمَ وَلَا الْفَرَارَ وَجَعَلْتُ أَسْتَعِيْثُ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ.

فَقِيلَ لِي: أَقْطَعُهَا مِنَ الْمِرْفَقِ فَانْتَشَرَ الْأَلَمُ إِلَى الْعَضِدِ وَضَرَبَتْ عَلَيَّ عَضْدِي أَشَدَّ مِنَ الْأَلَمِ.

فَقِيلَ لِي: أَقْطَعْ يَدَكَ مِنْ كَتِفِكَ وَإِلَّا سَرَى إِلَى جَسَدِكَ كُلِّهِ فَقَطَّعْتُهَا.

فَقَالَ لِي بَعْضُ النَّاسِ: مَا سَبَبُ أَلَمِكَ فَذَكَرْتُ لَهُ قِصَّةَ السَّمَكَةِ.

فَقَالَ لِي: لَوْ كُنْتُ رَجَعْتُ مِنْ أَوَّلِ مَا أَصَابَكَ الْأَلَمُ إِلَى صَاحِبِ السَّمَكَةِ فَاسْتَحَلَلْتُ مِنْهُ وَاسْتَرْضَيْتَهُ وَلَا قَطَّعْتُ يَدَكَ، فَازْهَبِ الْآنَ إِلَيْهِ وَاطْلُبْ رِضَاهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ الْأَلَمُ إِلَى بَدَنِكَ.

قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُهُ فِي الْبَلَدِ حَتَّى وَجَدْتُهُ فَوَقَعْتُ عَلَى رِجْلَيْهِ أَقْبَلُهُمَا وَأَبْكِي.

وَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ إِلَّا مَا عَفَوْتَ عَنِّي.

فَقَالَ لِي: وَمَنْ أَنْتَ؟

فَقُلْتُ أَنَا الَّذِي أَخَذْتُ مِنْكَ السَّمَكَةَ غَضَبًا، وَذَكَرْتُ لَهُ مَا جَرَى وَأَرَيْتَهُ يَدِي فَبَكَى حِينَ رَأَاهَا ثُمَّ قَالَ: يَا أَخِي قَدْ حَالَتْكَ مِنْهَا لِمَا قَدْ رَأَيْتَ بِكَ مِنْ هَذَا الْبَلَاءِ.

فَقُلْتُ لَهُ: بِاللَّهِ يَا سَيِّدِي هَلْ كُنْتُ دَعَوْتُ عَلَيْ لِمَا أَخَذْتَهَا مِنْكَ؟
قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: اللَّهُمَّ هَذَا تَقَوَّى عَلَى بَقْوَتِهِ عَلَى ضَعْفِي وَأَخَذَ مِنِّي مَا رَزَقْتَنِي ظُلْمًا فَأَرِنِي فِيهِ قُدْرَتَكَ.
فَقُلْتُ لَهُ: يَا سَيِّدِي قَدْ أَرَاكَ اللَّهُ قُدْرَتَهُ فِي وَأَنَا تَائِبٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنْ خِدْمَةِ الظَّلَمَةِ وَلَا عُدتُ أَقِفُ لَهُمْ عَلَى بَابٍ وَلَا أَكُونُ مِنْ أَعْوَانِهِمْ مَا دُمْتُ حَيًّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وفي الصحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَتَكَلَّمُ يَقُولُ: وَكَلْتُ الْيَوْمَ بِثَلَاثَةِ بُكْلٍ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَمِمَّنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَمِمَّنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ، فَيَنْطَوِي عَلَيْهِمْ، فَيَقْدِفُهُمْ فِي غَمَرَاتٍ جَهَنَّمَ [17].

وهؤلاء الشبيحة - في الشام - أو البلطجية - في مصر - والبلاطجة في اليمن - أوالزعران في الأردن - ومن وراءهم في سعيهم وحملهم على سفك الدماء وإزهاق الأرواح بغير حق هم أبغض الخلق إلى الله تعالى في الصحيح عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةَ جَاهِلِيَّةٍ، وَمَطْلَبُ دَمٍ أَمْرِي بِغَيْرِ حَقٍّ لِيَهْرِيحَ دَمَهُ [18]."

وهذه الدماء لن تضيع هدرا في الدنيا قبل الآخرة، في الصحيح عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَوَّلُ مَا يَقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ [19]."

الدنيا كلها أهون على الله تعالى من نفس واحدة لمؤمن تقتل ظلما عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ [20]

وكل الشركاء في هذه الجريمة في النار ويئس القرار عن ابن عمر - رضي الله عنه -

قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ((لو أَنَّ الثَّقَلَيْنِ اجْتَمَعَا عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ لَكَبَهُمُ اللَّهُ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ، وَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى الْقَاتِلِ وَالْأَمْرِ [21]))

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِيبْ دَمًا حَرَامًا»، قال: وقال ابن عمر: «إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا سَفْكَ الدِّمِّ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ [22]

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ مَظْلُومًا فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ نَفْسِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ جَارِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ فِي جَنْبِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ [23]."

والسؤال : هل يعفى هؤلاء الشبيحة والبلطجية - وكذا الجنود - من المسؤولية كونهم مأمورين من القيادات، والجواب لا : للنصوص السابقة ولقوله تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ): القصص: 8 .

لقد اعتبرهم النص القرآني مسؤولين جميعا ونسب إليهم الخطأ بل الخطيئة كلها، وفرعون هنا مثال ونموذج للقائد، وهامان مثال ونموذج للوزراء، والجنود هم الجنود، ومثلهم معهم من البلطجية والشبيحة، وأثبت أو نسب القرآن الكريم في مواطن كثيرة من آياته الجرم إلى القادة والجنود معا لما كانوا على دين قادتهم قال تعالى: "وَاسْتَكْبَرُوا وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمُ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ" القصص: 39.

ولذا عند العقوبة يأخذ أو يؤاخذ الله تعالى كلا بذنبه قال تعالى " فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الظَّالِمِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ* وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ" القصص: 40-42.

وما يحذرونه ويودون دفعه بجرائمهم سيق لا محالة فلا حذر يغنى عم قدر:
قال تعالى (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ* وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ* وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) القصص: 4-6.
هذا وَيَالِلَهُ التَّوْفِيقُ.

[1] الأعراف: 44

[2] [ربيع الأبرار ونصوص الأخيار 3/ 113]

[3] [ربيع الأبرار ونصوص الأخيار 3/ 116]

[4] [التذكرة الحمدينية 3/ 176]

[5] [تفسير ابن رجب الحنبلي 2/ 324]

[6] صحيح مسلم، كتاب البر. مسند أحمد،

[7] صحيح مسلم "كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها. باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء

[8] المتقي الهندي، كنز العمال، ج5، ص798 نقلا عن ابن أبي شيبة

[9] المستدرک للحاکم

[10] مسند أحمد المستدرک للحاکم

[11] صحيح مسلم "شرح النووي"، ج17، كتاب الجنة

[12] مسند أحمد "تصنيف الساعاتي"، ج19، ص324. المستدرک للحاکم،

[13] الحاکم، المستدرک

[14] المتقي الهندي، كنز العمال، ج5، ص688 نقلا عن البيهقي في شعب الإيمان. تجمروها: تجمير الجيش جمعه في النفور وحبسهم عن العود إلى أهلهم. جردوا القرآن: لا تقرأوا به

شيئا ليكون وحده منفردا.

[15] مسند أحمد، "تصنيف الساعاتي"، ج3، ص87

[16] الشعراء: 227

[17] [سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها 6/ 447] حديث رقم 2699

[18] [الجمع بين الصحيحين 2/ 74]

[19] مسند الإمام أحمد. صحيح البخاري كتاب الرِّقَاقِ. باب الْفُصَاصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. صحيح مسلم كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديّات. باب المجازاة بالدماء في الآخرة،

وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة. سنن النسائي كتاب تحريم الدم. باب تعظيم الدم. سنن ابن ماجه كتاب الديات. باب التغليظ في قتل مسلم ظلما.

[20] [صحيح وضعيف سنن ابن ماجه 6/ 119، بترقيم الشاملة آليا] حديث رقم 2619

[21] [الترغيب والترهيب لقوام السنة 3/ 190]

[22] أخرجه البخاري في كتاب الديات في فاتحته.

[23] [تحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة 5/ 151]

بوابة الحرية والعدالة

المصادر: